جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ
مقياس تاريخ المشرق الإسلامي ق2-8هـ/8-14م
د. بلال ساحلي
البريد الالكتروني: b.sahli@univ-dbkm.dz

المحاضرة الأولى:

1-الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية:

أ- ظروف وعوامل سقوط الدولة الأموية:

كان للدولة الأموية الكثير من المآثر فقد كان سوق الجهاد قائما في دولتهم وخضعت لهم جميع الأقطار والأمصار بشكل لم يحصل لغيرهم، إلا أنَّ هذه الدولة على غرار جميع الدول تسللت إليها أسباب الضعف والانهيار في طورها الثالث، فمنذ بداية الثلث الأخير لتاريخها، وبمطلع القرن الثاني للهجري بدأت تظهر بشكل أكبر بوادر السقوط بسبب مجموعة من العوامل آخرها الدعوة العباسية التي أجهزت عليها نهائيا، وبإمكاننا رصد تلك العوامل فيما يلي:

- صاحب الحكم الأموي منذ بدايته إلى غاية أفول نجمه وجود أحزاب معارضة شرسة اجتهدت في نخر وإضعاف حكم دولتهم، في صورة فرق الشيعة المختلفة سواء الإمامية أو الزيدية أو غيرهم، فإنهم ظلوا أوفياء لخطهم الديني العقدي الذي يُنَمِّي العداء للأمويين، وكذلك فرق الخوارج التي استنزفت كثيرا قوة الأمويين وشغلتهم خلال فترات كثيرة، إضافة حتى لبعض التيارات السنية التي لم تكن موافقة للأمويين باعتبار أن حركة ابن الزبير مثلاً كانت من أكبر المطبات التي تعرض لها الحكم الأموي .
- كما أن السياسات والقرارات التي تبناها بعض الخلفاء الأمويين ساهمت في وجود نوع من الاحتقان وحالة من عدم الرضى في نفوس طبقة جماهيرية واسعة، منها واقعة الحرة 63هـ/683م التي استبيحت فيها المدينة لثلاث أيام وقُتِل خلالها خلق وجماعة من الصحابةفي عهد يزيد بن معاوية، وكذلك استعانتهم بالحجاج(ت95هـ/714م) الذي كان محبا لسفك الدماء وكثير قتل النفوس التي حرمها الله، وغيرها من السياسات التي أوجدت نوع من السخط على الأمويين وأصبحت تهدد حكمهم،وأوجدت المبررات الكافية لسقوط الدولة الأموية، وهذا باعتراف شخصيات نافذة داخل البيت الأموي، فقد كان العباس ابن الوليد ابن عبد الملك يقول: (**يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم**) وتمثل قائلاً:

«إني أعيذكم بالله من فتن ... مثل الجبال تسامى ثم تندفع

إن البرية قد ملت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ... إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكم ... فثمَّ لا حسرة تغني ولا جزع»

- ظهور سلسلة من الخلفاء الأمويين الغير قادرين على التحكم في زمام مقاليد الحكم ودوائر السلطة، ساهموا في تصدع البيت الأموي إمَّا لضعفهم أو لصراعهم من أجل السلطة، إذ بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز(ت101هـ /720م) لم يحظى الحكم الأموي بخلفاء أقوياء باستثناء هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-749م) الذي كان حازمًا وعاقلاً، أما يزيد بن عبد الملك(101-105هـ/720-724م) فإنه حاول السير على نهج عمر ابن عبد العزيز فلم يقدر سوى لأربعين يوما ثم عَدَلَ عن ذلك، وأما الوليد بن يزيد(125-126هـ/749-750م) فقد كان يلقب "**بالخليفة الفاسق**" لانحرافه وهو ما كان سببا في قتله، ثم أعقبه يزيد بن الوليد الذي لم تدم خلافته سوى ستة أشهر(ت126هـ/750م)، ثم جاء أخوه إبراهيم بن الوليد(127هـ/751م) الذي قال عنه المدائني: (**لم يتم لإبراهيم أمر، كان قوم يسلمون عليه بالخلافة، وقوم يسلمون عليه بالإمرة، وأبى قوم أن يبايعوا له)**، ثم جاء بعده آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد(127هـ-132هـ/751-756م) الملقب بالجعدي أو بالحمار لشجاعته وصبره إلا أنه استلم الخلافة في ظروف صعبة فلم يتهنَّ بها.
- تأثرت الدولة الأموية بالعصبية القبلية بين الكلبية والقيسية، فكان على أساس هذه النزعة أو تلك يتم تعيين وعزل القادة وولاة الأمصار وعمال الولايات، وهي السياسة التي سار عليها أغلب خلفاء بني أمية من الفرع المرواني، وزاد من تعميقها مشاركة الشعراء في تغذيتها والترويج لها، فكان لهذه السياسة الأثر السيء على الدولة وانتشار، الشقاق والحروب القبلية والإثنية.
- ثم يأتي في الأخير العامل الأهم لسقوط الدولة الأموية وهو: "الدعوة العباسية" التي دقت آخر مسمار في نعش الأمويين، وهو ما سوف نستعرضه في العنصر الموالي .

ب- الدعوة العباسية "مراحلها ونظامها":

يطلق مصطلح الدعوة العباسية نسبة إلى الصحابي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام، والدعوة العباسية هي ذلك التنظيم السري والحراك السياسي الدعوي ثم العسكري، الذي تأسس بالموازاة مع حكم الدولة الأموية، ثم تطور لظروف تاريخية معينة وتحول إلى صدام عسكري مع الأمويين انتهى بإسقاط دولتهم سنة 132هـ/750م، قاد هذه الدعوة منذ نشأتها ماعة من منتسبي آل البيت من الهاشميين والطالبيين، أطلق على زعيمهم لقب:"صاحب الدعوة"، يساعده نقيب النقباء ومجموعة من النقباء والقادة وظيفتهم نشر الدعوة

في أمصار العالم الإسلامي بهدف إسقاط الحكم الأموي وتعيين خليفة جديد ممن يرتضيه الناس من آل محمد، وتعود الجذور التاريخية للدعوة العباسية إلى فرقة الكيسانية.

ب–1– الكيسانية والجذور التاريخية للدعوة العباسية:

الكيسانية أو المختارية نسبة إلى المختار الثقفي هي إحدى فرق الشيعة الإمامية، لم يرتبط اسمها بالدعوة العباسية ارتباطاً مباشراً، لأنها تشيعت ابتداءً للبيت العلوي وليس العباسي، وكان من أولويات هذه الفرقة الثأر من قتلة الحسين رضي الله عنه، ثم رشَّحَت للخلافة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رغم أنَّ هذا الأخير كان زاهداً في الخلافة مبايعاً للخلفاء الأمويين، ثم بوفاته سنة 81هـ/700م فَرَّخَت الكيسانية مجموعة من الفرق إحداها كانت تقول أن الإمام بعده هو ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية(ت99هـ/718م)، وسميت هذه المرحلة بدعوى "الفرقة الهاشمية" نسبة إلى صاحبها أبو هاشم.

خلال هذه المرحلة لم يكن للدعوة أثر كبير على الساحة السياسية إلا أنها تمرست في عملية التنظيم والدعوة السرية، ثم حدث منعطف حاسم في تاريخها، بانتقالها من البيت العلوي إلى الفرع العباسي، بعد أن قام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية قبل وفاته (99هـ/718م) بنقل أسرار الدعوة وتنظيمها لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه، وتم ذلك حينما خرج أبو هاشم إلى الشام، بدعوى من الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك فخشي منه هذا الأخير بعد أن رأى فيه العديد من المحاسن التي تؤهله لمنافسته على الخلافة فدس له السم، فلما أحس أبو هاشم بدنو أجله، أوصى بالإمامة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، لأن أبا هاشم مات بأرض الشَّراة التي كان بنواحيها قرية الحميمة وهي القرية التي كان يسكنها محمد بن علي بن العباس واستضافه فيها فكان ذلكالاتصال بينهما سببا في انتقال الدعوة من الفرع العلوي إلى الفرع العباسي، فشرع العباسيون في دعوتهم منذ سنة100هـ/718م بعد أن أعلمهم أبو هاشم قبل وفاته بأسرار الدعوة وأهم نقبائها .

ب–2– استقرار الدعوة في البيت العباسي:

كان العباسيون متمسكون بحلم الخلافة لأنهم كانوا يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم عمَّهُ العباس أن الخلافة ستكون في ولده، فلم يزل أحفاده يتوقعون ذلك ويتحدثونه بينهم، لذلك فإنه بانتقال الدعوة إلى الفرع العباسي تلقفوها وأعطوها نفسا جديداً، ويمكن القول أنها منذ تلك اللحظة بدأت بشكل فعلي في رسم شخصية الدولة القادمة، لأن العباسيين أحسنوا الاستثمار في الأوضاع السيئة للدولة الأموية، ورسموا خارطة طريقة متسارعة الأحداث نحو الإطاحة بالأمويين، وظلت السرية أولوية أساسيةفي الدعوة ليس فقط لأن الأمويين يهددون مصيرها، بل إن السرية والتكتم على صاحب الدعوة دون الكشف عن هويته يخدم الدعوة من جهة استمالة وحشد أكبر قدر من الأتباع المتعاطفين مع شعار:"الرضا من آل محمد"، وهو الشعار الذي رفعه منظري الدعوة منذ البداية فكانوا

يدعون إلى الرضا ولا يسمون أحداً، لعلمهم بقابلية مختلف الفرق لهذا الشعار مع اختلافهم حول من يمثله بالتحديد، فكان من الحكمة في الدعوة إظهار الشعار دون الكشف عن المعنيين به.

في عهد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ركز جهود الدعوة في إقليم خراسان ونجح في استقطاب الكثير من الأتباع، لكن تصاعد الزخم الدعوي أدى إلى اكتشاف الأمويين للدعوة في أكثر من مناسبة منها سنة117هـ/735م حيث تعرض جماعة من الدعاة للقتل في خراسان، ومما يلاحظ في هذه المرحلة من الدعوة أن المراسلات كانت تتم بحذر شديد وبصفة مشفرة حتى لا تنكشف مضامينها لدرجة أن دعاة خراسان لمّا انحرفوا أرسل إليهم محمد الإمام عصي مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس ففهموا أنهم مخالفون لسيرته فراجعوا دعوتهم، ويمكن القول أن تلك الفترة هي العصر الذهبي للدعوة لأن الإمام محمد اتصف بخصال جعلت الدعوة في مرحلته تنجح بشكل كبير خاصة في خراسان إلا أنه توفي سنة 124هـ/742م.

وكان قبيل وفاته قد عهد بأمر الدعوة لابنه إبراهيم بن محمد أخو السفاح والمنصور، الذي في عهده تسارعت الأحداث، وأصبحت المجاهرة بالدعوة مسألة وقت، فكان موسم الحج فرصة للالتقاء صاحب الدعوة مع الدعاة ففي سنة 127هـ/745م التقى إبراهيم ابن محمد الإمام ببعض الدعاة في مكة منهم سليمان بن كثير، وأبو مسلم، وفي نفس السنة كتب بكير بن ماهان لإبراهيم الإمام يعلمه بأنه مريض فاستخلف مكانه أبا سلمة وأسند إليه أمر خراسان، وفي سنة 128هـ/746م أرسل إبراهيم الإمام أبو مسلم الخراساني بصفته أميرا على خراسان فرفضوا في الأول لصغر سنه 19 سنة، لكنهم قبلوا به لاحقا بعد وصية شديدة اللهجة أنفذها إبراهيم الإمام.

ثم في سنة 129هـ/747م تم إعلان الدعوة العباسية في خراسان، وعقد أبو مسلم اللواء الذي يدعى: "الظل" على رمح طوله أربعة عشر ذراع، وعقد الراية التي تسمى: "السحاب" على رمح طوله ثلاثة عشر ذراع، ولبسوا السواد، ثم شرعوا في حشد الجيوش في معسكرهم بخراسان، ونجحوا في ضم الكثير من القرى، فلما رأى الوالي الأموي نصر بن سيار قوة أبو مسلم كتب إلى الخليفة الأموي مروان يعلمه أنا أبا مسلم يدعوا إلى إبراهيم بن محمد، وكتب بأبيات شعر يحذره فيها من قوتهم:

أرى بين الرماد وميض نار وأخشى أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدأها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أو نيام

ولأن موازين القوى كانت متفاوتة فإن الوالي الأموي نصر بن سيارهرب من مروفي سنة 130هـ/748م لما رأى تنامي قوة أبو مسلم، ثم مات هذا الوالي الأموي في السنة التي بعدها 131هـ/749م، وبذلك فقد الأمويون أحد أقوى رجالاتهم الأوفياء في الشرق وأصبح طريق الجيش العباسي مفتوحا نحو العراق، فتصدى لهم أمير الامويين على

العراق ابن هبيرة لكنه انهزم في سنة 132هـ/750م، فكانت الكوفة حاضنة الشيعة بطبيعة الحال أول مدن العراق مبايعة للعباسيين.

وفي خضم تلك التطورات ألقى الخليفة الأموي مروان القبض على إبراهيم الإمام، بعد أن اكتشف مراسلاته مع أبو مسلم،فحبسه مدة في حران ثم قتله لاحقا، وكان قبل وفاته قد نقل أمر الدعوة لأخيه أبي العباس السفاح(132-136هـ/749- 753م) وأمر أهله بالمسير معه نحو الكوفة معقل شيعتهم، فكان في استقبالهم الداعية أبو سلمة الخلال الذي كتم أمرهم عن الشيعة والقواد،وحاول استغلال الظرف وتحويل الدعوة إلى آل أبي طالب لما بلغه خبر موت إبراهيم الإمام، لكن الدعاة عرفوا حينها شخصية الإمام الجديد وبايعوه،ما أفشل المشروع الإنقلابي لأبي سلمة الذي بايع مكرهاً وكان ذلك سنة 132هـ/750م وهي الخطيئة التي لم يغفرها له العباسيون لاحقا.

وفي هذه السنة كانت خاتمة الأحداث قتل آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد بعد أن هزمه عبد الله بن علي في معركة الزاب، ففر إلى الموصل ثم حران ثم حمص ثم فلسطين ثم صعيد مصر واختبأ في كنيسة ببوصير لكنه انكشف وتم اغتياله ثم حمل رأسه إلى السفاح بصفته اول خليفة عباسي .